في كل مرة أنّ الآلهة التي تتحكّم بمصير الإنسان تفرض عليه العودة إلى المنفى مرة أخرى. وفي **طائر الحوم** تندمج تجربة الإنسان بتجربة هذا الطائر المهاجر المعرّض للقنص فتتكوّن لهما هوية واحدة. وفي روايتي الأخيرة **إنانة والنهر** استعملتُ أسطورة إنانا السومرية لأغراض فنية مشابهة. وفي كل ذلك حاولتُ أن يكون لي صوتي الخاص ولغتي الخاصة المنبثقة عفوياً من التجارب الإنسانية التي تعنيني.

وفي تحديدي للرواية على أنها معنيّة بتناول تجارب إنسانية هامة ووجودية، أحرص على أن تقيم جسوراً مع الفلسفة والعلم والأجناس الأدبية والفنية الأخرى. وقد تأثرتُ كثيراً بالشعر (ولي صداقات وعلاقات وثيقة مع المبدعين والمبدعات في الشعر كما في الرواية). وقد تأثرتْ أعمالي الروائية بالسينما مضموناً وشكلاً، وبالموسيقى التي كثيراً ما أسمعها وأنا أكتب فتتخذ لغتي أشكالاً التموّج الموسيقي. ولكتاباتي علاقات بالرسم، كما تعرّفتُ اليه من خلال صداقاتي مع عدد من الرسّامين وتأملي في أعمالهم.

هذه باختصار شديد أجوبتي على الأسئلة التي طرحتُها على عدد من الروائيين والروائيات العرب، وعلى نفسي في محاولة للإدلاء بهذه الشهادة. يبقى أن أستخلص أنّ الرواية عمل فني استكشافيّ في خفايا التجارب الإنسانية، وهي عمل منفتح على الفنون الأخرى والفلسفة والعلم وخاصة الاجتماعي النفسي الإنساني منه، ومعنيّة بحركة صراع الإنسان في سبيل تضييق الفجوة بين الواقع والحلم بقدر الإمكان، أي بتجاوزه الواقع وإعادة تشكيله من منطلقه هو بدلاً من منطلقات القوى المهيمنة على حياته.

حنان الشيخ

عقربا الرواية

يبدأ همّي في البحث عن **مقعد** مريح.

الغربة الشخصية هي مسقط **رأس** الرواية. هي الملاذ الأخير، والحوار **بين** النفس والنفس، وبين النفس **والآخرين**.

أجلس وفي بالي فكرة **واحدة** تتزحلق من رأسي إلى رقبتي **فكتفيّ** فيديّ ثم إلى أصابعي. **أَلحقُ بالفكرة**، أخلق الشخصيات التي بدورها **تكوّن** أشكالها بنفسها، لغتَها، حوارا**تها**، مواقفَها، وبالتالي حياتها.

شخصيات تُرسّخ جذورها **في** رأس الرواية، فتكبر وتمتدّ. وأخرى تدفن نفسها تحت شطبة واحدة من قلمي، لتصبح أرضُ الرواية مسرحاً لكلّ ما **أشعر** به **أو** أتخيّل ما يشعر به غيري تجاه الحياة والدنيا وما تحمله هذه الأخيرة من تناقضات وغموض واحتجاجات.

كلّما غفوتُ في الليل، غفوتُ على الرواية وكأنّها ساعةٌ منبّه لا يتوقف عقرباها عن الدوران والتكتكة. توقظني في الصباح فأتساءل: تُرى هل أعيش من أجل أن أكتب **الروايات، أم أن الروايات هي حقيقة العيش؟**

كلّما انتهيتُ من كتابة رواية، وجدتُني أقفز عند ذلك الحجر إلى حجرٍ آخر وسط المياه الهائجة حولي، فيزيد تأكدي من أن الرواية هي البرهان على مدى حيرة البشر الدائمة وتخبّطهم!

لندن

ندوة
«الآداب»

الرواية العربية: إشكالات التخلّق ورهانات التحوّل

أعدّ الندوة وقدم لها مراسل مجلة الآداب في المغرب: عبد الحق لبيض*

عبد الحميد عقار
ناقد وأستاذ جامعي، الكاتب العام لاتحاد كتاب المغرب سابقاً

ما عاشته الرواية الأوروبية من تحولات على امتداد ٣ قرون، ستحياه الرواية العربية خلال قرن واحد من عمرها!

شعيب حليفي
روائي وناقد ورئيس مختبر السرديات بكلية الآداب (الدار البيضاء)

هناك نصوص عربية مكتوبة غير مكتشفة قد تقلب ــ عند اكتشافنا إياها ــ تصوراتنا عن الرواية العربية!

سعيد يقطين
ناقد أدبي، صدر له العديد من المؤلفات النقدية، وهو الكاتب العام لمركز البحث والتواصل الثقافي

التراث أعطى الرواية العربية زخماً جديداً للتفاعل مع المجتمع؛ فالواقع الذي نعيش ليس وليد اليوم، بل له جذور في التراث

بشير القمري
ناقد وقاصّ، صدر له العديد من المؤلفات النقدية والإبداعية.

ما ترجم إلى العربية من روايات لم يكن كافياً، وما كان ينبغي أن يترجم لم يترجم قط!

عبد الفتاح الحجمري
ناقد أدبي، صدر له مؤخراً كتاب عتبات النّص، وهو عضو مختبر السرديات بكلية الآداب (الدار البيضاء)

اقتصر «التجريب» على التنويع في مركبات النص، بحثاً عن مغامرة شكلية وربما عابرة!

* ـ نُظِّمت الندوةُ بتنسيق مع المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر للشاعر عبد الرفيع الجوهري، رئيس اتحاد كتاب المغرب، ولجميع أعضاء المكتب المركزي لما قدّموه لنا من دعم لإنجاح هذه الندوة (عبدالحق لبيض).

تقديم

ينبع اهتمامنا بأسئلة الرواية من منطلق ما حقّقتْه الروايةُ العربية من تراكم كمّي على امتداد الوطن العربي، ومن تزايد إقبال القرّاء عليها. كما أضحتْ تشغل مساحةً واسعة من اهتمام النقد الأدبي، يؤشّر عليه التزايدُ المطّرد للمجالات المشتغلة بالنّص الروائي، ونموُّ المفاهيم والمصطلحات النقدية المرتبطة به.

وليست قيمةُ الرواية منحصرةً في هذه المجالات الخارجية وحدها، وإنّما تستمدّ قيمتها من قدرتها الخلاّقة على التقاط اليومي والمعيش المتسارعيْن والتعبير عنهما ضمن شبكة من العلائق المعقّدة التي تقوم على أسس الحوارية وتعدّد الأصوات اللذين يسمحان للرواية بالانفتاح والتجديد المستمرين بفعل تقويض الأنساق المطلقة وتنسيب الأفعال والكلام، عبر توظيف السخرية والمحاكاة الساخرة والتهجين وامتصاص الأشكال التعبيرية الأخرى كالشعر والموسيقى والتشكيل والأرشيف. ولهذه الأسباب، ولغيرها، كانت الرواية هي الجنسَ القادرَ على تجسيد إيقاع الحياة بكل نغماتها واتجاهاتها ومفارقاتها وتقابلاتها التي لا حدّ لامتداداتها.

ومن أجل فهم راهنية سؤال الرواية لا بدّ من إعادة النظر في الحوصلة النصيّة التي أنتجتها الروايةُ العربية على امتداد تاريخها (وهو تاريخ قصير نسبياً، إذا ما قورن بتاريخ الشعر). ولهذا السبب خصّصنا محوراً خاصاً سمّيناه: «الرواية العربية وسؤال الكتابة: نحو مركزة سؤال النشأة»، انطلقنا فيه من رصدٍ عام للمحاولات التأسيسية الأولى للرواية العربية، اعتماداً لا على ثنائية المثاقفة والأصالة فحسب، وإنّما من خلال طرح الأسئلة الجنينيّة المصاحبة لتكوّن النّص الروائي العربي. فمن شأن هذه الأسئلة أن تقرّبنا من المكوّن الثقافي العربي الذي احتدم الصراعُ داخله بين الوافد والعناصر الذاتية الثابتة في منظومة التراث.

ما كان يحفزنا في هذا المحور هو سؤال أساسي: إذا كانت الحداثة عملية تقويضٍ وإعادة بناء، بعد عملية حفر عميقة في المهدَّم وإبرازٍ لخصوصية المبنيّ، فهل يمكن اعتبارُ ما قامت به النصوصُ التأسيسية من قطيعةٍ مع التراث السردي العربي واحتضانٍ للأسلوب «الغربي» في التعبير، فعلاً حداثياً؟

وضمن هذا المحور كان لزاماً أن نتحدّث عن دور الترجمة في تشكيل ملامح النّص الروائي العربي التأسيسي، وفي المساهمة في الصراع ضد «الحساسية التقليدية» التي كانت ترفض هذا الجنس الوافد. ونعتبر أنّ التركيز على مسألة اللُّغة في الأعمال المترجمة أمرٌ ضروري؛ ذلك لأن استيعاب مكوّن اشتغالها يساعد على إدراك الدور التاريخي الجبّار الذي قام به مترجمو النّص الروائي الأجنبي في مرحلة تكوّن النصّ الروائي العربي.

وقد ساهمت الصيرورةُ التاريخيةُ للمجتمعات العربية، بفعل التحوُّلات العميقة في بنياتها، في فَرْز جملة تبدّلات أفضتْ إلى تناسل العديد من التوجُّهات الجديدة التي طرحت أسئلةً آنية على فعل الكتابة. وهوما دفع الكتابة الى تغيير نظرتها إلى الإنسان والواقع العربييْن، طارحةً، في الآن ذاته، رهاناتٍ جديدةً كان من أهمّها رهانُ الالتزام والحرية والديمقراطية والفردانية. من هذا المنطلق خصّصنا المحورَ الثاني لتحديد «الرهانات الكبرى للكتابة الروائية: الكتابة والالتزام».

لقد ارتبطتْ رواياتُ مرحلة نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات بمفهوم عام للكتابة تحكمتْ فيه شروطُ المعرفة المتاحة في تلك الآونة، والتي كانت تستمدّ مقوّماتها ومقولاتها من الأنساق الفكرية والايديولوجية المتصارعة آنذاك كالماركسية والوجودية. ونعتقد أنّ هذا الربط الآلي بين الإبداع الروائي وحصيلة هذه الأنساق من مفاهيم ورؤى وتصوّرات قد غيّب، في جانب كبير، الاهتمام بالنصّ الروائي كفعل تخييلي، بالدرجة الأولى، يسعى إلى إضاءة جوانبَ معتمةٍ في حياة الفرد والجماعة، ولفْتِ الانتباه إلى مراكز الصمت والنسيان فيها. ولهذه الاعتبارات طرحتِ الندوةُ مسألةَ إعادة تمثّل النصّ الروائي الأربعيني والخمسيني في ضوء أسئلة الذات والكينونة والتخييل ورسم حدود الايديولوجي والذاتي داخل هذه الإبداعات التي لم تُقرأ في لحظتها باعتبارها نصوصاً أدبية وإنّما كوثائق وبيانات.

وأمام النكبات والهزائم المتتالية التي عاشتها المجتمعات العربية منذ نهاية الستينات إلى اليوم كان لا بدّ من أن يتغيّر مفهوم الكتابة وتُطرح عليه أسئلة جديدة، كان من أهمّها: مغامرةُ الشكل الروائي بكل ما تحمله من دلالات الاختراق والتهديم المستمرين وفق مبدإ «التجريب». فكانت أن طُرحتْ أسئلةٌ جديدة تتعلق بطبيعة العلاقة بين الذات والكتابة، ومساءلة القيم الجديدة للُّغة، وتحديد علاقة الرواية بالمرجع، وعلاقة الرواية بالتراث.

هذه الأسئلة ما تزال قائمة الى الآن، وتحاول الندوة استجلاء بعضها من أجل تعميق النقاش فيها. وقبل أن ننتقل الى التفصيل في هذه المحاور أطلب من الأستاذ عبد الحميد عقار أن يحدّد لنا تجليات راهنية سؤال الرواية ودواعيه.

ع. لبيض

عبد الحميد عقار : لقد حققت الروايةُ العربية في رحلتها منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى اليوم تطوراً نوعياً انتقل بها إلى الصدارة بالنسبة إلى مختلف الأجناس الأدبية. كما أن تطوّرها جعل منها الجنسَ الأدبيَّ القادر على استيعاب مختلف التحوُّلات التي شهدتها الذهنيةُ العربية وعرفها المجتمعُ العربي، والجنسَ الأكثرَ قدرةً على تشخيص كل الإحباطات التي واكبتْ هذا القرن الأخير من عمر العالم العربي. بل إنّ الرواية العربية، خلال القرن الأخير، استطاعت أن تلامس العديد من جوانب المحظور في الثقافة العربية، إذ لم تجعل من هذا المحظور مادةً للاستهلاك فحسب، بل استطاعت أن تجعل منه نافذة للإطالة التخييلية على عوالم ظلت في حكم المسكوت عنه والمهمَّش والمقصيِّ من التفكير. كما ساهم تطور الرواية عبر هذه السنين في تحويل النظرة إلى اللغة: لغة الكتابة، لغة الإبداع، لغة التداول. وبالتأكيد فإنّ انفتاح الرواية على ما لحق اللغة وطرائق التعبير من تطور قد يكون ذا وظيفة مزدوجة: فهو من جانبٍ يعكس تحوّل الرواية ذاتها، أي تحول شكلها ومادّتها ووسائل التعبير؛ فهي ليست أداة للتعبير فحسب، وإنما هي أيضاً مادّة للاشتغال ستمكّن الكتابةَ الروائية من أن تصبح في الغالب كتابةً تجريبيةً تعيد إقامة صلات جديدة بالتراث وصلات جديدة بالمتخيَّل في خصوصياته وفي أبعاده الكونية. كما ستتيح للرواية، من جهة أخرى، إمكانية إقامة صلاتٍ أخرى مع المقروء الكوني الذي يتأثر به القرّاءُ العرب.

مجمل هذه التحوُّلات يجعل من المناقشة بصدد الوضع الروائي العربي الراهن، مناقشةً ذات فوائد عديدة أُولاها: الوقوف على عمق التحوُّلات التي عرفتها مفاهيمُ الأدب وطرائقُ الاشتغال على الأدب وسبلُ تلقيه وسبلُ تداوله. وثانيتها: التمكّن من رصد مستويات الوعي والتفكير التي هيمنت وكانت تميّز المراحلَ المختلفة ما بين القرن التاسع عشر ونهاية القرن العشرين. ثالثتها: فهم طبيعة المتخيّل الذي تشتغل عليه هذه الروايةُ، وخاصةً في فترة ازداد فيها الاهتمامُ الواعي والنقدي بالتراث، مثلما ازداد فيها الاهتمامُ النقدي بخصوصيات المتخيَّل المرتبطة تارةً باللغات الرسمية وغير المكتوبة إلى اليوم، والمرتبطة تارة أخرى بالوسط والبيئة الثقافية على امتداد الوطن العربي في مرحلة لم يعد فيها هناك مركز قوي بالمعنى الذي كان عليه في النصف الأول من القرن العشرين. فهناك اليوم تجاربُ في الكتابة الروائية تأتي من أطراف العالم العربي لا تقل أهميةً ولا قيمةً عمّا ينتجه كبارُ الكتّاب في العربية. ثمة تجارب روائية تأتي من الخليج أو من المغرب العربي أو من الشام، وهي تجارب تثري مسيرة الرواية العربية اليوم بجوانب أخرى تتصل بهذا الذي يمكن أن يكون متخيّلاً له خصوصيةٌ وله عناصرُ وتكويناتٌ؛ ولئن كانت هذه التكويناتُ في الغالب تكويناتٍ عربيةً، فإنّها تتأثّر كثيراً بما هو جهويٌّ وشعبي وتراثي. وأخيراً، وليس آخراً، فإنّ مناقشة وضع الرواية العربية في تكوّنها وتحوّلها سيمكّن في النهاية من الوقوف على تطور الفكر العربي ككلّ، لأنّ الرواية ليست مجرد شكل أو تقنيات بقدر ما هي تصوُّر ووجهة نظر حول الذات والعالم والمحيط من حولهما. والوقوف على وجهة النظر معناه الوقوفُ على نمط من التفكير ونمط في الحياة، والوقوفُ على نمط في الارتباط بالكون. ولهذا يبدو النقاش حول الرواية العربية في هذه المرحلة من تاريخ إعادة تشكلها مفيداً وراهناً، ونأمل له الغنى والفعالية.

المحور الأوّل: الرواية العربية: أسئلة النشأة والتكوّن

عبد الحق لبيض : نودّ في المحور الأول من ندوتنا، أن يتجه نقاشنا إلى موضعة الرواية العربية في مرحلة تكوّنها وتخلقها، في إطار أسئلة الفكر العربي عموماً، فلا نكتفي بموضعتها في خانة التثقيف والتأثر أو خانة التأصيل والهوية. ذلك أن الرواية العربية، وهي تتخلق، كانت تلتقط أسئلة واقعها وتستجيب للمعيش واليوميّ والعلمي الذي يؤطّر هذا الواقع ويضمن له حركيته واستمراره. إن الرواية، بهذا المعنى، كانت حاجة فكرية واجتماعية وفي المجتمع العربي. ويبقى السؤال الأساسي هو: كيف تم التعبير عن هذه الحاجة، أي البحث في الأشكال والموضوعات؟...

بشير القمري : إنّ الدعوة إلى إعادة قراءة الرواية العربية وتمثّل أسئلتها فعل حتمي وضروري. غير أنه يستوحب، في نظري، العديد من الشروط الدّافعة إلى إنتاج أسئلة جديدة، خصوصاً وأن عملية استحضار النصوص الروائية العربية الأولى تطرح، كما أشار الأستاذ عقار في البداية، وجوبَ استحضار تجارب عديدة في الوطن العربي في التخوم وخارج المركز. فهناك نصوص سردية عديدة لم يُلتفت إليها حين الحديث عن البدايات التأسيسية للرواية العربية، وهي نصوص تشكّلت في أغلب بلدان المغرب العربي وفي بعض البلدان